بسم الله الرحمن الرحيم

التأريخ بمولد الرسول ﷺ
حتمية المستقبل وتأكيد الذات

نفدت الطبعة الأولى وها نحن نقدم للطبعة الثانية بعد عقدين ونيف ؛ ظهر في هذه السنين المديدة كتب كثيرة ، واستحقاقات فكرية وتاريخية رائدة وآمن بمحمد ﷺ أناس كثر وعلى رأسهم روجيه غارودي ومراد هوفمان وموريس بوكاي وآلاف من المفكرين العالميين ، كما ظهر فكر معارض يتسم بالزيغ والضلال وعلى رأسه (الإسلام بدعة نصرانية لإلياس المر ، وقس ونبي لأبي موسى الحريري ، كل هذا دعاني لإعادة طباعة هذا الكتاب ، وجاءت رسائل عدة تطلب نسخة منه ، وفي عجالة من الأمر بدأت ، وفي كتاب (الإسلام بدعة نصرانية) يقول المؤلف : (محمد بن عبد الله عبقري من عباقرة العرب ، سبق غيره ولم يحاذه أحد فيما فعل ، كون للعرب دولة وصلت حدودها لفترة من الزمن إلى حدود الصين ، وقرعت أبواب فرنسا ، هو تاريخ كامل بأحداثه ، بإنجازاته بسيرته ، خلق ثورة دائمة للعالم ، ثورة أطاحت بممالك

وتيجان لم يفكر أحد يوماً أنها ستغيب بمثل ما غابت به) ، ثم يتابع ليثبت بأدلة واهية أن القرآن استقى معلوماته من التوراة والإنجيل والمتتبع لدراسة علوم القرآن يجد أن تحليل القرآن لقصص الأنبياء قد صب في سرد تاريخي للصراع بين الحق والباطل ، بين الأنبياء والطواغيت الذين حاولوا إعاقة سير الأنبياء في طريق واحد باتجاه الوحدانية الخالصة .

وقد فصّل مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية هذه الدراسات ، ووضح الفوارق الكاملة بين أسلوب القرآن وأساليب الكتب المقدسة السابقة .

والمتابع لدراسة كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم للدكتور موريس بوكاي يجد التفصيل : (بأن القرآن هو نص الوحي المنزل على محمد ﷺ من سيد الملائكة جبريل ، وقد كتب في الحال ، ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب ، رددوه أثناء صلواتهم ، وبخاصة طيلة شهر رمضان ، وقد رتب محمد ﷺ آياته في سور ، جمعت مباشرة عقب وفاته وألفت في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) الكتاب الذي بين أيدينا وخلافاً لما جرىٰ في الإسلام ، (فإن الوحي المسيحي انبنىٰ على شهادات إنسانية متعددة غير مباشرة . .) .

عبقرية أم نبوة ؟ وأين يقع استحقاق التأريخ ؟ ألعقلٍ مهما بلغ

إبداعه يظل محدوداً ؟ أم لنبوة استكمل مكوناتها الله وهيأهما لأصعب المهمات . واختارها لتكون فوق العقل والذكاء والإبداع والاختراع ؟

ها نحن أمام نمطين ، أمام عالمين عالم العبقرية وعالم النبوة ، لكلٍ سماته وآفاقه ولكلٍ أسسه ومنهجه ، ولكلٍ غاياته وأهدافه .

لنقف طويلاً متأملين في جوهر الأمور وأعراضها ، لندرك الفروق إن كانت هناك فروق ولندرك التشابه إن كان هناك تشابه .

العبقرية مصطلح ينتقل من المعنى القاموسي إلى المعنى الاصطلاحي ويظل يدور في دائرة الأساس فوادي غبقر هو واد تخيله الجاهليون يسكنه الجن ويعوده الكثيرون ليستوحوا من جوّه العلم والإبداع وفن الشعر أو الخطابة أو ما شابههما ، هو استعانة بقوى خفية يتوهم المرء أنها قادرة على التنبؤ والعطاء الغيبي دون حدود .

وينسب الناس كل شاعر فذ إلى العبقرية ، ويُرجعون كل مبدع نبغ في علم من العلوم إلى العبقرية . ويتفلسف بعض الرجال ويطلقون على ألسنتهم الحكم والأمثال فيعيدون حكمته وأمثاله إلى العبقرية .

وينتقل المعنى من سنة إلى أخرىٰ ومن قرن إلى قرن حتى يصبح الناس أقرب إلى إطلاق صفة العبقرية بكل مناسبة ووقت دون

حساب دقيق لما تعنيه أحكامهم السريعة .

صحيح أن العبقري مبدع تعدى حدود بعض البشر في الفكر أو الفلسفة أو القانون ، فأصبح لديهم نادراً مميزاً ارتفع عن المستوى العادي للبشر لينظُر لهم ويمنحهم الحكمة في أوقات وأوقات .

والعبقرية بكل ما فيها من إبداع وتميّز تظل في نطاق المحدود مهما بلغت مرتبتها ومهما بلغت حكمتها ، قد تجد في زمن واحد عباقرة عظاماً ، ذاك عبقري في الطب والآخر في الفلك والثالث في الفيزياء والرابع في الفلسفة ، قد يلتقي الجميع في عصر واحد ، يقدمون خدماتهم لبني البشرية .

ولكنْ . . أليس مخترع القنبلة الذرية عبقرياً ؟ أليس مخترع القنبلة الجرثومية عبقرياً ؟ هل ينكر أحدنا ذلك ؟ حقيقةً لا يستطيع أي منا الإنكار ، ولكنّ أيّاً منا يستطيع أن يستنكر هذه العبقرية ، ما هذه العبقرية التي تبدع لتفني البشرية وتبيدها ؟ وقد يصل ببعضنا الأمر إلى نفي صفة العبقرية عن هذا المخترع أو ذاك ، وقد يطلق بعضنا عليه صفة الجنون ، وكثيرون يعرفون أن بين العبقرية والجنون فاصلاً صغيراً دقيقاً يكاد كثيرون أن ينسوه فَيَسِمُون العبقري بالجنون ويَسِمُون المجنون بالعبقرية . وما دامت العبقرية في حدود الإبداعات فهي إبداع وضعي قابل للخطأ والصواب . فالعبقري إنسان مهما كبر أو عظم ، يستمد معارفه من تجاربه الحياتية

والفكرية ويطرح أفكاره على ضوء ما عرف واستخلص ، ومهما استمدَّ ومهما استخلص فإن تجربته تبقى في نطاق المحدودية البشرية ، ينقطع المدد عنه في لحظة من اللحظات ؛ فيقف عاجزاً عن التواصل وتضمحل أفكاره أو ربما تذوب ليستقبل البشر أفكاراً جديدة لعبقري جديد . ومهما بلغت العبقرية عند إنسان فلن تصل حد الكمال أو التكامل وهذه سنّة الكون وما تعارف عليه البشر طوال وجودهم على الأرض .

قد تكون البشرية بحاجة إلى العباقرة في وقت من الأوقات ، وقد يحتاج شعب مقهور لعبقري عسكري تربوي يؤهل أبناء شعبه لرد الظلم ونيل الحرية فيبتدع الخطط والأفكار التي من شأنها الانتصار على الأعداء لكن هذا العبقري لا يُحتاج إليه عندما ينعم شعبه بالسلام والاستقرار ، وقس على ذلك في جميع جوانب الحياة المتشعبة والمتنوعة .

فالعبقرية تنقصها صفة التواصل بالعطاء والتجدد والصلاحية الدائمة المستمرة .

هنا كان الفرق ومن هنا يمكن لنا أن نصل إلى نقطة المفصل ، إلى نقطة التحول والتوقف وذلك لسبر أعماق المقارنة وتجلياتها .

أين العبقرية في ميزان النبوّة ؟ وهل محمد عبقري مفكر أو هو نبي مرسل ؟

هل العبقري أميٌّ لا يعرف الكتابة والقراءة ؟ لا نريد أن نجيب عن هذا السؤال لأنه يحتمل الإيجاب والنفي .

هل العبقري يعلم الغيب ويستطيع أن يتنبأ دون احتمالات في الخطأ ؟

لقد بات لنا واضحاً أن العبقري له من السمات والصفات والعطاءات ما ليس لغيره من كثير من أبناء البشر ولكننا لا نستطيع أن نقول إن ماله ليس لغيره من البشر كافة .

ولو رحنا ننظر بعين الحق دون تحيز إلى عالم النبوة لوجدنا الأمر يختلف كل الاختلاف فمحمد ﷺ ليس عبقرياً لأن ما أوردناه من سمات وصفات لا تنطبق على شخصيته ومسيرة حياته . هكذا قبل كل شيء وله أسباب كثيرة نراها معاً على طريق التوضيح . محمد ﷺ رجل أمي لا يعرف القراءة والكتابة ، معارف عصره قليلة بل ضحلة . القراء والكتاب يكادون أن يكونوا نادرين . عقائد قومه خليط من الوثنية والنصرانية واليهودية أميٌّ لكنه يأمر قومه بالعلم وبالمعروف وينهاهم عن المنكر والجهل ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . كيف يأمرهم بالعلم ؟ أليس الأمر أمراً ربانياً كما نراه في القرآن الكريم ؟ يقول تعالىٰ : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، لقد نفى القرآن الكريم عن نبيه الأكرم تلاوة أي كتاب قبل

نزول الوحي وكتابة أي صحيفة عنه ، أوليس من القواعد الدارجة بين العباقرة وأئمة الفكر والأدب أن النكرة في سياق النفي تفيد انتفاء الحكم عن كل أفرادها وتعطي شمول السلب ؟ ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ﴾ لقد وضح الله سبحانه صفات هذه النبوة التي تفترق عن صفات العبقري كما عهدناها أو عهدتها الشعوب . . محمد رسول نبي أمي مكتوب اسمه في التوراة والإنجيل ومنعوت فيهما بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث يضع عنهم الإصر ويرفع عنهم الأغلال ، وقد ورد ذلك في سورة الأعراف في الآية ١٥٧ .

هذه هي إحدى سمات النبوة وليست سمات العبقرية . ألا ترى معي أن هذه الصفات خاصة وخاصة جداً ، فأي عبقري تنطبق عليه هذه الصفات ؟ لعمري إن ذلك محال .

ولو نظرنا إلى ما صرح به القرآن عن الغيب لوجدنا أن الرسول محمد ﷺ قد تلقى من الله سبحانه ذلك العلم . أخبر الرسول الكريم بالقرآن العظيم أن الروم بعد أن غُلبوا سيغلبون ، ووقع ما قاله القرآن بأقل من عشر سنين ، فغلب الروم ودخل جيشهم مملكة الفرس بإجماع من أهل التاريخ . وكثيرة هي الأمور الغيبية التي أوحى بها الله لنبيه وعلمه إياها ، كعصمة الله له من القتل ، وإخباره في سورتي التوبة والحشر عما سيؤول إليه أمر المنافقين .

ثم لو توقفنا قليلاً عند القرآن الكريم الذي بلّغه رسول الله ﷺ للمسلمين لوجدنا المعجزة تلف عقولنا وقلوبنا ووجداننا ووعينا.

لقد قلنا إن العبقري قد يأتي بالحكم والإبداع ولكن قد يأتي عصر يرى في هذه الحكم تراثاً لا يصلح لحاضرهم ، أما النبوة التي سندها الله وقوّى حجتها بالقرآن فقد كانت أمراً آخر مختلفاً .

صحيح أن النبي محمد ﷺ كانت لديه الاستعدادات الروحية والعقلية والنفسية لتلقّي أمر النبوة غير أنه لم يأت بالقرآن من عنده ، إنما أوحى الله سبحانه بالقرآن لهذا النبي .

ولو كان القرآن من صنع عقله لكان ما صنعه يخضع لقانون الأمور الوضعية القابلة للتغيّر من عصر إلى عصر . فالقرآن الكريم الذي نزل على قلب محمد منذ أكثر من ألف وأربعمائه سنة ما زال يمدّ الفكر ويتحداه ويدفعه لمزيد من البحث ولا تفتر معانيه وأحكامه ، ونرى أن هذا القرآن يتجدد في كل لحظة في عقول العلماء ونفوس الناس ووعيهم .

وبالموازنة بين ماأنزل على محمد من آيات القرآن وبين ماأتى به العباقرة نجد الفروق واضحة جليّة بل إن بعضنا يجدها من البدهيات والمسلّمات ، فما يأتي به هؤلاء العباقرة والحكماء غير قابلة للخلود مهما بلغ نضج العقل فيه ، ومهما بلغت درجة الإبداع عنده ، بينما نرى القرآن العظيم خالداً ما بقيت الحياة ولو لم يكن

كذلك لرأينا التغيير يلفه ، لكن الله سبحانه تكفل في حفظه وصونه وما يتكفل به الخالق ليس كما يتكفل به مخلوق محدود العقل والوجدان محدود الجسم والوعي .

لقد أتى القرآن الكريم على ذكر الماضي السحيق ولم تحفل الكتب ولا المؤلفات جميعها بما حفل به القرآن من ذكر ذلك الماضي . وأتى بالحديث عن المستقبل ، وما كان لعبقري أن ينبئ بمستقبل يطابق التنبؤ تمام المطابقة ، ولا حتى يطابق جزءاً منها .

إن محمداً لم يكن عبقرياً كما صوره بعض فلاسفة الغرب أو بعض مفكريهم ولو كان عبقرياً لصلح ما أتى به لزمنه ، أو إذا تجاوزنا ذلك قلنا صلح ما أتى به لزمنين أو ثلاثة ولكنه قد لا يصلح لعصر آخر كعصرنا الذي بلغ عقل الإنسان فيه مبلغاً كبيراً في تصوراته وإبداعاته .

إنما محمد نبي أتته رسالة من السماء خالدة باقية محفوظة ، وما في هذه الرسالة صالح لكل زمان ومكان . لقد مات جسد محمد وبقي عطاؤه حياً ورسالته حيّة تتجدد دوماً ، وحينما نرى في النبوة غير ما نراه في العبقرية ؛ فإننا إثباتاً للحق لا يمكن لنا إلا العودة نحو الوراء لنرى أن نبوة محمد ارتبطت بظروف محلية وأخرى عالمية وبسلوكية فردية ومدد رباني وجهاد متواصل في سبيل نشر الدعوة وتبليغ الرسالة .

إن ما يمكن أن نراه من عصر عالمي رافق بعثة هذا النبي ليدل بشكل قاطع على أن العالم كان ينتظر . فالمسيحية شُوِّهت وربطها المتنصِّرون بأغراض سياسية بعيدة عن روح العقيدة المسيحية الحقة . لقد باتت المسيحية كالفسيفساء المذهبية التي لا يلتقي فيها لون مع لون ولا مشرب مع مشرب .

أما الفرس فقد بلغت بهم الأمور مبلغ الفساد الشامل . فأفكار تدعو إلى الإباحية وعقائد تختلط فيها عبادة الملوك والنيران والقوى الشريرة الغيبية ، وتنتشر الصراعات السياسية والقومية حتى بات القتل والاغتيالات أمراً يومياً في أنحاء الإمبراطورية الفارسية كافة .

أما أوروبا وما هي أوروبا ؟ ليس لشعوبها ذكر ولا لنورها وجود ، ظلمة دامسة ، تخلف ما بعده تخلف ، إمارات وممالك على عدد المدن والقلاع والقرى .

هذا هو العالم السائد عندما شعَّ نور النبوَّة المحمدية من شبه الجزيرة العربية . أليس هذا العالم المتخبط بحاجة لمبعث جديد يعم خيرُه العالَم ؟ وهل كان باستطاعة أي عبقري أن يفعل مثل ما فعلت بعثة النبي محمد المؤيدة بالقرآن الكريم ؟

أما الجزيرة العربية . فهي قبائل متناحرة لا تحلل ولا تحرم بل تقلب الحلال حراماً والحرامَ حلالاً ، وكم من أفراد وقبائل وقعت في الظلم الفاحش ، فأفراد يستعبدون أفراداً وقبائل تستعبد غيرها ،

وغزو ومطاردة وقهر وإراقة دماء دونما سبب سوى سبب الظلم والاستعباد والجهل والتخلف . وفي غمرة هذا التخبط العالمي بحث الظامئون عن الحلول ومكثوا ينتظرون الآتي الذي يحسُّون أنهم بحاجة إليه . وظن بعضهم أن ذواتهم هي المؤهلة لاختيار السماء لكن السماء لا يدرك أسرارها أحد . كان الاختيار سابقاً لتصوّر البشر ، لقد كُتب في العلم الإلهي الأزلي ولا مبدل لإرادة الله الذي اختار محمداً ليكون نبي هذا الزمان وآخر الرسل والأنبياء وخاتمهم .

وتبدأ حياة هذا الإنسان ، طفولة شريفة وشباب متّزن ونشاط ما بعده نشاط . لا أوثان في ذهنه أو نفسه بل توجه للنقاء الروحي الذي أراده الله . ويتقدم الزمن فإذا به زوج لسيدة فاضلة تنجب له بنات هنَّ قرَّة عينه . . يتميز في مجتمعه بالصدق والأمانة والرجولة والشهامة . وما عُرف عنه غير ذلك . عرف الفصاحة منذ صغره وغرز البلاغة والبيان في رجولته فأبهر الناس بحسن لغته وخطابه وعقليته .

كل ذلك كان ليكون ، ولا أحد يدري ماذا ستؤول إليه هذه الشخصية المميزة الفريدة في مجتمعها . ويتلقى الرسالة ليبدأ مسيرة الأنبياء ، مسيرة العذاب والمواجهة والصبر على الشدائد حتى يأذن الله له بأن يهاجر ليبني أول لبنة في دولة الإسلام حيث انتشر التوحيد

لأنه الحق ، ولم تمض سنوات حتى انتصر الحق وعمَّ ودانت العقول الجاهلة للعقل والمنطق ، للعلم والتقدم ، للإخاء والإنسانية والمحبة والعدل والمساواة ، لهداية الناس والشعوب والأمم قاصيها ودانيها ، هذه هي النبوة ؛ شخصية متَّزِنَة منذ ولادة صاحبها . عاقلة مفكرة مميَّزة بين الخير والشر . هذا هو الاستعداد لتلقي رسالة السماء وكيف لا ؟ فإن التكامل في هذه الشخصية لا بد له من القدر الإلهي ، لا بد له من الرسالة ، لقاء السماء بالأرض ، آيات من الله لتكون دستوراً أبدياً متجدداً وشخصية مميزة بكل ما يعني التميّز من معنى ، تلتقي الشخصية بما لديها من ملكات بما تنزله السماء فتحدث المعجزة ؛ معجزة الله في شخص هذا النبي العظيم .

هنا تصغر العبقريات بل تضمحل لأن النبوة أولا وأخيراً فعل رباني وليس بشرياً وضعياً ، وهنا أيضاً تتوقف عقولنا لتسأل أين تقع استحقاقات التأريخ ؟ ألعبقري أم لنبي ؟

حقيقةً ليس لعاقل اختيار ، لأن المنطق العقلي يرى أن هذا النبي هو فوق العبقرية ومن حق التأريخ أن يبدأ به ومن حقه أن يبدأ بالتأريخ .

عظمة النبوة تستلزم التنبه الخاص جداً ، وهذا التنبه يعني تحديداً أن يبدأ تاريخنا كمسلمين به ، لقد أرخت شعوب كثيرة

لعباقرتها منطلقة من التعصب الوطني أو القومي ، وهذا من حقها لأن ذلك يعني انتماءها لوطن أو لقومية لها ملامحها ، وإنسانية لها شموليتها .

وإن كنا ندعو إلى التأريخ بمولد الرسول الإنساني محمد ﷺ فإننا لا ننطلق من هوى قومي أو وطني ، إنما الذي يفرض نفسه كون رسالة الإسلام رسالة إنسانية شاملة تخص كثيراً من القوميات والشعوب وكثيراً من بقاع الأرض المترامية الأطراف ، والتأريخ بمولده يعني تأصيل وجودنا في قلب قوميتنا أولاً ، وإنسانيتنا ثانياً .

إننا معنيون أكثر من غيرنا بالتأريخ بمولد محمد الرسول ﷺ لأن الصلة التي تربطنا به هي أقوى الصِّلات وأمتنها . . إنها صلة العقيدة والرّجوع إلى النبع القرآني الإلّهي الواحد ، ولولا هذا النبي لتشوّهت قيمنا وتشوّه انتسابنا ، وأصبحت شخصيتنا بلا ملامح . ولعل نظرتنا إلى مستقبل يعيد أمجاد أمتنا الإسلامية وعزّتها يستند كلياً إلى مبعث النور الإسلامي الذي أراده الله أن يكون على يدي خاتم الرّسل والأنبياء ، فلم لا نؤرخ بمولد هذا النبي الذي أُرسل ليصنع أمة جديدة بروحها ، بماديتها ، ليصنع تاريخاً جديداً ويرسخ دعائمه بالدّين القويم ؟

أليست تلك استحقاقات التاريخ ؟ التاريخ الذي نرى فيه شخصيتنا وأمتنا ، نرى فيه وجودنا وتواجدنا على أرض عربية إسلامية ؟

نعتقد أن كل أمة تمتلك إرادتها وتصوراتها ، ولكل أمة حقها في تأريخ حياتها ، ومن حق أمتنا الإسلامية أن تفتح للعالم تأريخاً يبدأ بمولد محمد بن عبد الله الذي تجاوز كثيراً العباقرة والمفكرين والمبدعين ، تجاوزهم لأن في شخصه اكتملت رسالة السماء ورسالة الأرض ؛ فكان الإسلام العظيم في كل ملامحه وتطلعاته المستقبلية .

المدخل إلى البحث

إن مدنية الغرب التي زهت بجمالها العلمي في أيامنا الحاضرة ، والتي وصلت بها إلى القمر ، وأخضعت العالم بنتائج هذا العلم بدوله وأممه ، تعلن إفلاسها الآن وبدأت تندحر وتندك أصولها وتنهدم نظمها وقواعدها . فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات ، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات . ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين والمحتاجين . وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة في كل مكان وهذا القلق صار صفة ملازمة للشباب ، والاضطراب حالة نفسية عامة لهم ، فالفراغ النفسي شردهم ، والعمل بلا غاية ولا هدف هدر قدراتهم ، وها هي المؤتمرات تعقد لحل مشكلات الشباب في كل مكان وإننا لنسمع التصريحات السياسية والاجتماعية دون جدوى وقد حار القوم والحكماء خاصة في علاج مشكلاتهم وضلوا السبيل . مؤتمراتهم تفشل ، ومعاهداتهم تخرق ، ومواثيقهم تمزق ، وعصبة أممهم شبح لا روح فيه ولا نفوذ لها ، ويد العظيم فيهم توقّع مع الغير ميثاق السلام والطمأنينة وتلطم

بالثانية من ناحية أخرى أقسى اللطمات ، وهكذا صار العالم اليوم بفضل هذه الأصول والسياسات الجائرة الطامعة كسفينة في وسط اليم حار ربانها وهبت عليها العواصف من كل مكان ، الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة مضطربة ، قد اكتوت بنيران المطامع والمادة ، وتأججت فيها روح الإباحية المهدمة للقيم والمثل العليا . . .

ولقد كانت قيادة الدنيا في وقت ما شرقية بحتة ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية ثم بعد ذلك نقلت إلى الشرق مرة أخرى ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة فكانت القيادة العالمية له وورث تراث العالم واستفاد منه وسماه باسمه . .

وهاهو ذا الغرب يظلم ويجور ويطغى ويحار ويتخبط ، فلم يبق إلا أن تمتد يد من هذا الشرق العريق بأمجاده ، لتعيد الحق إلى نصابه . وهي في أشد الحاجة إلى عذب من سؤر الوحي الإلهي ليغسل عنها أوضار الشقاء ، ويأخذ بها إلى شاطئ السلام كما كان في المرحلة الأولى من مراحل حضارة أمتنا . . . التي كانت مظللة بوحي الله ، وتخفق على هاماتها راية القرآن يحدوها جند القرآن بإيمانهم وسلوكهم وثباتهم على الحق . . .

لم يكن هذا خيالاً بل واقعاً عشنا في ظلاله ومازالت أمتنا العربية

والإسلامية تتغنى بأمجاده التليدة وإن حكم التاريخ الصادق ليشهد لنا . . . وما هو جوابنا اليوم ؟؟ . . إن الجواب لهذه العاصفة الهوجاء التي تهب على أمن العالم واستقراره كائن في وحي الله . . . وواقع العالم اليوم لا يختلف عما كان عليه في غابر الزمان عندما وصلت الإنسانية إلى ذروة الضياع والفساد ، وإذ بالوحي يهبط وتتصل السماء بالأرض لتدل الحيارى التائهين . . وبالفعل دلتهم السبيل القويم ، وهدتهم الصراط المستقيم فشيدوا حضارة وبنوا مدنية ، ورفعوا للحق راية وسطروا للقيم مجتمعاً تنعكس من خلاله المثل جلية متكاملة . هذا الوحي قد ترك للإنسانية ما يبعثها إذا رقدت ، وما يحرك نوازع الخير واليقظة فيها إذا كبت وركعت للضياع مرة أخرى . وإننا لنشاهد كبوة العالم ورقاد الإنسانية وانحرافها وحيفها وانحلالها ولا باعث للإنسانية من كبوتها الأخلاقية إلا وحي السماء ولا محرك لجذوة التصحيح إلا حبل مدلى من الذات العليا فلنعتصم به إذا أردنا بلوغ المقصد ، ولنشيد عرى مجتمعنا بأطنابه ليرفع كابوس الرقاد والإباحية والهوان عن أمتنا . . .

وعلينا إن أنعمنا النظر في العالم أن نلتفت إلى الحكماء والفلاسفة فهذا المؤرخ الفيلسوف الكبير أرنولد توينبي يقول في كتابه (الحضارة في الميزان) : لقد حاول كارل ماركس أن يوجد الدولة في أعلى قيمها عن طريق نظرياته المعتمدة على المادية

التاريخية فما استطاع ذلك . وحاول قبله هيجل رائد الفلسفة المثالية خلق الدولة المثالية في عالم الواقع بنظرياته المثالية فما أمكنه تحقيق ذلك . وفكر آدم سميث بإيجاد الدولة الفضلى بنظرياته الاقتصادية الحرة فما حقق ما أراد وما بلغ مقصده ولكن محمد بن عبد الله ذلك العربي استطاع إيجاد الدولة في أعلى قيمها وأشمل مثالياتها الواقعية لأنه اعتمد على عنصري الإنسانية وهما المادة والروح فنجح حين أخفق غيره وما أحوج العالم إلى تكامل المادة والروح في عالم الواقع ! ولا بأس إذا أصخنا السمع وأنعمنا النظر في أحرف رددها برناردشو حين قال : ما أحوج العالم إلى رجل كمحمد ليحل قضايا العالم وهو يشرب فنجاناً من القهوة . بعد هذا كله . . . فلنسأل أنفسنا وبصراحة . . . هل محمد رسول ؟؟

هل يوجد وحي إلهي ؟ . .

ما هي حاجة الإنسانية إلى الوحي ؟

ما هي الأدلة العقلية للبرهان على نبوة محمد ؟

أيحق لنا عقلاً أن نصدق كل من ادعى النبوة ؟

ما هي مميزات النبوة الصادقة من النبوة الكاذبة ؟

ما هو دور الوحي في المجتمع وما أثره في الحضارة ؟

لنكن صرحاء مع أنفسنا . . مع المثقفين . . مع التاريخ والإنسانية . . وهذه أسئلة ترد بعد سؤال ناقشه الفلاسفة منذ أرسطو

مروراً بالإنسانية وانتهاء بآخر إنسان يعيش على وجه هذه البسيطة ، وذلك السؤال قد أجيب عنه بكتاب صدر وهو (هل الله موجود) وإن نظرة واقعية للصراع الفكري العقائدي لتدعونا إلى بحث هذه المعضلة ولا عجب أن يطرحها الفكر في عصرنا لنجد لها الدليل العلمي الواضح مع العمل على إثارة المناقشة حول المواضيع المرتبة حسب أهميتها ، لما في التسلسل من نتائج جيدة فبحث الإيمان بالله ضروري لإنسان يريد مناقشة الإيمان بالنبوة ، ولذا كان هو المنطلق الأول لهذا البحث . . فجاء هذا المخطوط المتواضع رديفاً للبحث الأول ومكملاً له وإن الخوض في هذا البحث الشيق ليدعوني إلى بعض التفصيل فالباب الأول يشمل الفصول التالية :

١ ـ العالم قبل بعثة محمد .

٢ ـ الجزيرة العربية قبل البعثة .

٣ ـ لمحات عابرة من سيرته .

٤ ـ هل نحتاج إلى الوحي ؟

والباب الثاني ويشتمل مجموعة من الأدلة العقلية والشواهد الحضارية والعلمية على نبوة محمد بن عبد الله . . وسوف يتم كل ذلك بفكر موضوعي بعيد عن العاطفة الدينية ، مرتكزاً على المقدمات المنطقية التي يعتمد عليها كل إنسان يبحث عن الحقيقة الأبدية ، ولا شك أنه يوجد في الإنسانية راغبون في الحق ، ديدنهم

المنطق السديد وهم الذين سنلتقي معهم في نهاية الدروب الوعرة . وأما الذين ملكت العصبية الفكرية قلوبهم ، وأعمتهم التقاليد التي عاشوا مترفين في ظلالها فأسدلت الغشاوة على عقولهم فأبوا إلا ما هم عليه مرددين يضاهؤون[1] من كان قبلهم ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾

فأولئك ليسوا طلاب حقيقة ولا يملكون كوة البحث والمناقشة وما أكثر هؤلاء الذين يقرؤون ولا تفيدهم القراءة إلا إمعاناً في قديمهم لخور في إرادتهم وجمود في عقولهم . .

أخي القارئ :

جرد عقلك من أوضار القديم المستجد في نفوس التائهين وحرر فكرك من آثار البيئة الملوثة بالإباحية ، وانطلق في هذا البحث لغاية المناقشة الحرة التي توصل إلى الصواب فإن بلغت الغاية التي بلغت بها في نهاية المطاف فقد التقينا في البداية والنهاية وإلا استمر كل منا في منحاه وتابع مسيرته حسب تقاليده الممسكة لتلافيف دماغه لا يريد حقاً ولا يبحث عنه وأرجو لك المتعة والقبول في هذه المناقشة الحرة .

. .

---

(١) يقلدون .